

ثقافة التفاهم..... بقلم : الشيخ حسن الصفار



□ ثقافة التفاهم.....

بقلم : الشيخ حسن الصفار

إنّ نسبة كبيرة من المشاكل والخلافات في العلاقات الأسرية والاجتماعية، تحصل بسبب ضعف ثقافة التفاهم، وعدم التدرب على ممارسته.

إنّ لياقة التفاهم بين أفراد المجتمع في مختلف مجالات علاقاتهم، وبين المكونات والجهات الاجتماعية، تساعد كثيراً على الارتقاء بمستوى العلاقات البينية، وتعزيز التماسك الاجتماعي، وتسهم إلى حدٍّ كبير في خفض نسبة المشاكل والخلافات والتوترات بين الناس.

إنَّ ممارسة التفاهم تمنع وتقي من حدوث المشكلات، وتساعد على محاصرتها وتجاوزها إن وقعت.

والتفاهم من الفهم، وهو المعرفة الواضحة للأمر، فتقول فهمت كلامك، أي عرفتة بوضوح، وأفهمته الأمر، أي عرّفته به وأوضحته له.

والتفاهم يعني الفهم المتبادل بين طرفين، وقد يقصد به الاتفاق، فيقال تفاهمنا على الموضوع أي اتفقنا؛ لأنَّ الاتفاق يحصل غالبًا بعد الفهم المتبادل.

فهم الطرف الآخر

إنَّ ثقافة التفاهم تعني:

أولًا: تنمية القدرة على فهم الطرف الآخر، الذي تتعامل معه، ماذا يريد؟ وما يقصد بكلامه؟ وما هو مبرر سلوكه؟

حين يعرف الإنسان طبيعة الطرف الآخر يكون أقدر على النجاح في التعامل معه.

وحين يسمع الإنسان من الآخر كلامًا، أو يرى تصرفًا معيّنًا، فعليه أن يتأكد من مقصده في كلامه وفعله، ولا يتعجل في اتخاذ موقف انفعالي انطلاقيًا من سوء الظنِّ، أو عدم الوضوح.

وكما قال الشاعر:

تَأَنَّ سَّ وَلَا تَعَجَّلْ بِإِلَٰهِيكَ صَاحِبًا لِعَلَّ لَكَ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلْمُزُ

إنَّ كثيرًا من المشاكل تحصل بسبب سوء فهم للكلمة أو فعل صدر من الآخر.

لذلك يؤكد الدين على اجتناب سوء الظنِّ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: 12].

وورد عن أمير المؤمنين علي (ع): «اطْلُبْ لِأَخِيكَ عُدْرًا فَإِنَّ لَكَ تَجْرِدًا لَهُ عُدْرًا»

فَالْتَمَسَ لَهٗ عُذْرًا .

وعنه (ع): «لَا تَطُنُّنَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَعْدِي سَوَاءًا، وَأَزَّتْ تَجِدُّ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا».

وعنه (ع): «أَعْقَلُ الذَّاسِ أَعْدَرُهُمْ لِلذَّاسِ»

وعنه (ع): «حُسْنُ الظَّنِّ يُخَفِّفُ الْهَمَّ، وَيُنْجِي مِنَ تَقَلُّدِ الْإِثْمِ».

الوضوح مع الآخر

ثانيًا: حسن البيان والوضوح في الحديث والتعامل مع الآخر.

إنك إذا لم تبيِّن ما تريده بالضبط من كلامك، فقد لا يفهم الآخر قصدك، وقد يفهم منه ما لا تريد.

ورد عن الامام علي (ع): «أحسنُ الكلامِ ما لا تَمُجُّهُ الأذانُ، ولا يُتَعَرَّبُ فَهْمُهُ الأَذْهَانُ»

إنَّ البعض لا يهتم بإيضاح مقصده في حديثه، ويتوقع من الآخرين فهم مراده، وذلك ما يسبب حدوث مشكلات في العلاقة والتعامل.

فالغموض، والاختصار المخلِّ، والتشهير في الكلام، غالبًا ما ينتج مشكلات وخلافات.

كما أنَّ بعض الممارسات والتصرفات قد تحتاج إلى إيضاح وتبرير، حتى لا يفهمها الآخر بشكل سيئ.

مثلًا حين يضطرُّ الإنسان لتقصير ما، فيما يرتبط بعلاقته مع الآخر، فعليه أن يخبره بمبرره في التقصير، حتى يتفهم موقفه. لكنَّ البعض يتساهل في ذلك، ولا يكلِّف نفسه إخبار الطرف الآخر، مما ينتج عنه مشكلات في العلاقة بين الطرفين.

فإن حصل لك طرف اقتضى التأخير في عودتك إلى المنزل، أو موعد لقاء، فعليك أن تبادر إلى الإخبار والإبلاغ.

ثالثًا: الاعتذار عن الخطأ وقبول اعتذار الطرف الآخر.

إنّ صدور الخطأ وارد من الإنسان في علاقته مع الآخرين، لسبب أو لآخر، لكن عليه أن يبادر للاعتذار، وألا تأخذه العزة بالإثم، حتى في العلاقة مع أبنائه والعاملين تحت سلطته وإدارته.

ورد عن الامام علي (ع): «أَلَا إِرْزَاهُ مَنْ يُنْصِرُ الذَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهَ إِسْلًا عِزًّا».

وعنه (ع): «حُسْنُ الْإِعْتِرَافِ يَهْدِمُ الْإِقْتِرَافَ».

وعلى الإنسان أن يقبل اعتذار الآخرين حين يصدر منهم خطأ تجاهه، جاء في حديث عن رسول الله (ص): «يَا عَلِيُّ؛ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْعُذْرَ مِنْ مُتَنَصِّلٍ صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا لَمْ يَنْزَلْ شَفَاعَتِي».

وورد عن الإمام علي (ع): «إِقْبَلِ الْعُذْرَ الذَّاسِ تَسْتَمْتِعُ بِإِخْتَائِهِمْ» .

التنازلات المتبادلة

رابعًا: البحث عن الحلول وتقديم التنازلات المتبادلة.

إنّ وجود أي مشكلة في علاقات الإنسان الأسرية والاجتماعية، تسبب له أذىً نفسيًّا، وقد ينتج عنها ضرر لمصالحه الحياتية.

وعلى الإنسان أن يحرص على عدم الوقوع في أيّ مشكلة أو خلاف، وإذا وقع في مشكلة مع أحدٍ فعليه أن يسعى لمعالجتها والخروج منها.

وذلك ما يستلزم وجود الاستعداد لتقديم التنازلات المتبادلة، فإنّ مكاسب الخروج من المشكلة أكبر بكثير من أيّ خسارة في التنازل.

لذلك يقول تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُضْرِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} وَإِنْ تُحْسِنُوا
وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 128].

الصلح خير في حد ذاته، فهو يريح النفس من عناء وجود المشكلة، وما تسببه من ضغط على أعصاب الإنسان، وهو توفير للجهود التي تستهلكها حالة الخصومة والعداوة، وتنقية لأجواء المحيط الاجتماعي من التوترات والتشنجات، وهو سبب لنيل الأجر والثواب من الله تعالى.

لكن المشكلة غالباً ما تكمن في حالة الحرص {الشُّحَّ} الحاضرة في نفس الإنسان، التي تمنعه من تقديم التنازلات، لذلك تدفع الآية الكريمة إلى التحفيز على الإحسان، وهو يعني العطاء للآخر {وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا}. والإحسان درجة متقدمة على العدل، فالعدل إيتاء الحقوق لأصحابها، بينما الإحسان هو عطاء من حلتك وحقك